# البحرية الطرابلسية وأثرها على العلاقات الليبية الأمريكية في عهد يوسف باشا القرمانلي (1796-1832م).

أ . سعاد سالم عبدالحميد أبونقاب ـ كلية التربية العجيلات ـ جامعة الزاوية

## المقدمة:

إن الموقع الجغرافي لليبيا على الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط ، وبطول يزيد عن(1900كم)، فرض عليها الدفاع البحري والتصدي للدول الأجنبية خاصة وأن تاريخ ليبيا الحديث قد اقترن بالصراع الإسلامي المسيحي في حوض البحر الأبيض المتوسط منذ مطلع القرن السادس عشر عندما برز الأسبان كمدافعين عن المسيحية وناصرين لها، وبالمقابل ظهور الدولة العثمانية على رأس القوى الإسلامية ، حيث كان لذلك الصراع الأثر الكبير في العلاقات الدبلوماسية فيما بينها وبين دول حوض البحر المتوسط، والتي ارتبطت مصالحها بهذا البحر ؛ لأن موقع ليبيا على البحر أتاح لها المشاركة في الصراع دفاعاً عن الإسلام والمسلمين وإثر اندلاع الحروب الصليبية ضد الأقطار الإسلامية أسهمت البحرية الطرابلسية في كثير من المعارك البحرية ، خاصة بعد دخولها تحت السيادة العثمانية.

وعندما تولت الأسرة القره مانلية الحكم في ليبيا شهدت المنطقة تغيراً في موازين القوى البحرية، بظهور قوى جديدة قادمة من وراء البحار متمثلة في أساطيل الولايات المتحدة الأمريكية والدينماركية والانجليزية، فكان لزاماً على ولاية طرابلس الغرب الاستعداد للتصدي لهذا التهديد.

## أهمية الدراسة :

تكمن أهمية البحث في التعرف على البحرية الطرابلسية وأثرها في توطيد العلاقات أو قطعها مع الدول الكبرى، كما ترجع أهمية الدراسة في تسليط الضوء على فترة مهمة من تاريخ ليبيا الحديث.

## مشكلة الدراسة :

تتجلى إشكالية الدراسة في ضعف الاهتمام بتاريخ البحرية الطرابلسية لتشابكها مع غيرها من النشاطات البحرية في حوض البحر الأبيض المتوسط ، خاصة في الفترة الزمنية المستهدفة بالدراسة، لذلك تم صياغة المشكلة في عدة تساؤلات أهمها:

1- متى تكونت البحرية الطرابلسية وكيف ؟

2- هل كان لها تأثير في حوض البحر المتوسط ، أم كان نشاطها كغيرها من الدول؟
3- هل كان لها علاقات مع غيرها من الدول.وعلى أي أساس تم رسم علاقاتها الخارجية ؟
4- ما مدى إسهام البحرية الطرابلسية في إقحام البلاد في حروب لاقبل لها بها؟

## أسباب إختيار الموضوع :

يُعد إختيار الموضوع لما له من أهمية للباحثين في تاريخ تلك الحقبة من الزمن ؛ لأن النشاط البحري الطرابلسي كان العامل الأساسي في تشكيل السياسة الخارجية والعلاقات الدولية بين ليبيا ودول أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، إضافة إلى إبراز دور البحرية الطرابلسية في تلك الأثناء في الدفاع عن الإسلام والمسلمين، مما أكسبها الاحترام في المنطقة ، وإبراز جوانب الصراع بين البحرية الطرابلسية والبحرية الأمريكية، مع تحليل أهمية الأحداث معتمدة في ذلك على المصادر والمراجع التي تناولت الموضوع، سواءً العربية أو المترجمة عن لغات أخرى .

## الإطار الزمني والمكاني للدراسة :

سيتم تتبع أثار البحرية الطرابلسية من وجهة نظر تاريخية تمتد عبر فترة حكم أبرز باشوات الأسرة القرمانلية من سنة 1796 حتى 1835م والذي عرف بعهد يوسف باشا القرمانلي ,هدا فيما يتصل بالحدود الزمنية للبحث ,أما فيما يتعلق بالحدود المكانية فإن الرقعة الجغرافية التي عرفت بولاية طرابلس الغرب هي التي ستشكل الحيز المكاني لهدا البحث.

## تقسيمات الدراسة:

أحتوى هذا البحث الى جانب المقدمة على أربعة مباحث أساسية وخاتمة. وهي:

المبحث الأول:

تطور البحرية الطرابلسية.

المبحث الثاني:-

البحرية الأمريكية على الشواطئ الطرابلسية.

المبحث الثالث: الصراع الليبي الأمريكي.

المبحث الرابع :الأثار الناجمة عن الصراع الطرابلسي الأمريكي .

## المبحث الأول ـ تطور البحرية الطرابلسية :

يرجع الفضل في تكوين البحرية الطرابلسية إلى درغوت باشا ؛ لأنه منذ توليه الحكم في ليبيا 1553م. أولى كل اهتمامه بتكوين قوة بحرية في البلاد ، لتسهم في

الصراع البحري مع القوى الإسلامية ضد القوى المسيحية وليقوم بمهمة الدفاع عن طرابلس ضد هجمات الأعداء[1].

والجدير بالذكر أن طرابلس قد اشتهرت بصناعة السفن منذ العهد الإسلامي الأول، وأسهم أسطولها في تدعيم النفوذ الإسلامي في البحر المتوسط.

وعندما قدم العثمانيون إلى طرابلس لنجدتها من الاحتلال الأسباني وفرسان القديس يوحنا كان الأسطول الطرابلسي على درجة مكنته من القتال جنباً إلى جنب مع الأسطول العثماني، وإن كان هذا الأسطول قد عاني بعض الإنهيار والضعف قبل قيام الأسرة القرمانلية، فإنه قد شهد اهتماما بالغاً وعناية كبيرة من قبل الأسرة الحاكمة[2] .

**وكانت البحرية الطرابلسية تنقسم الى قسمين :**

**القسم الأول :** وهو البحرية الرسمية التي تشمل الأسطول التابع للدولة والتي يرأسها أحد أهم الشخصيات البارزة في العهد القرمانلي .أما **القسم الثاني :** فهو مجموعة من السفن تعود ملكيتها لبعض الأشخاص من الطرابلسية يشتغلون لحسابهم الخاص، مع دفع نسبة معينة من المال لقاء نشاطهم البحري واستعمالهم للميناء والمرسى[3].

وكان الأسطول الطرابلسي يتكون من السفن التي تُصنع محلياً في ترسانة الدولة، وترسانة الباشا ؛ لأنه لم يكن هناك أي أحواض لبناء السفن سوى أحواض الحاكم، الذي يشرف عليها بنفسه، أما المواد اللازمة لبناء السفن يأتي معظمها من أوروبا، وعندما امتنعت أوروبا عن بيع الأخشاب لطرابلس، وصدر أمر من البابا بتحريم بيع الأخشاب لطرابلس تمكنت حكومة طرابلس من الحصول على المواد عن طريق بعض الأفراد بعيداً عن سلطة الدولة، وبأثمان مرتفعة، واستطاعوا أيضا الحصول على **الأخشاب** من غابات الأناضول والشام والمغرب ، وذلك بسبب ارتباطهم بالدولة العثمانية وتعاون أهلها في النشاط البحري، لمواجهة العدو المشترك[4].

ويتكون الأسطول أيضا من بعض السفن التي كانت تهديها الدولة العثمانية وبعض الدول الأجنبية، للأسرة القرمانلية في طرابلس الغرب ، وكذلك أيضا من بعض السفن التي كان يشتريها الحكام القرمانليون او يستولون عليها ، نتيجة نشاط الأسطول الطرابلسي في البحر المتوسط[5].

وبذلك هيمنت البحرية الطرابلسية في فترة حكم القرمانليين (1711-1835م) على الممرات البحرية التجارية بالبحر المتوسط، الأمر الذي أدى إلى الاصطدام مع الأساطيل الأوربية والأمريكية. واستطاعت أن تفرض فيها شروطها على السفن المارة

عبر المتوسط، وأن تفرض إتاوات على السفن بمختلف أنواعها، أثناء مرورها نظير تأمينها وحمايتها[6].

## المبحث الثاني ـ ظهور البحرية الأمريكية في حوض البحر المتوسط :

بدأت الولايات المتحدة الأمريكية في بناء علاقات مع العالم الخارجي بعد حصولها على الاستقلال من بريطانيا سنة 1783م ، وكانت السفن التجارية الأمريكية تعاني كغيرها من الدول من القرصنة لذا سعت الولايات المتحدة إلى إبرام اتفاقيات مع دول المغرب وكانت ولايات ( الجزائر وتونس وطرابلس الغرب) تمتلك قوة وأساطيل حربية لا يستهان بقوتها وفعاليتها في حوض المتوسط، وتتحصل من خلالها على الأموال والهدايا المختلفة كإتاوات لضمان مرور السفن الأجنبية[7].

ولقد حاولت الولايات المتحدة، آن تجد الطريقة التي تمكنها من أن تجد لها مكاناً في المتاجرة مع دول شمال أفريقيا، فطلبت من فرنسا أن تؤمن لها حماية لسفنها، ولكن فرنسا كانت تخشى دخول الولايات المتحدة منطقة حوض المتوسط ، كمنافس قوي قد يهدد مصالحها ، وبالتالي رفضت حمايتها ، ورفضت انجلترا أيضا حماية السفن التجارية الأمريكية ، وفشلت في الحصول على وعد من هولندا بحماية سفنها، فما كان منها إلا أن سعت إلى إبرام اتفاقية مع سلطان المغرب سنة 1786م. كخطوة أولى لحماية أسطولها[8].

ويبدو أن نمو التجارة البحرية الأمريكية وبناء الأساطيل الحربية لهذه الدولة الفتية، قد آثار حفيظة بعض الدول الأوربية التي كانت تسيطر على مقاليد التجارة العالمية ، وخصوصاً في حوض البحر المتوسط ، وأن دخول أمريكا في هذا المجال، أُعتبر منافسة قد تضر بمصالح هذه الدول الكبرى مثل فرنسا وانجلترا، لذا أُوعزت بعض الدول الأوربية لقراصنة الشمال الأفريقي، وأوكلت لهم مهمة استهداف ومضايقة السفن التجارية الأمريكية[9].

وأمام هذه العراقيل والصعوبات التي كانت تواجه التجارة الأمريكية، في حوض المتوسط قام الكونغرس الأمريكي سنة 1784م. بتعيين لجنة تتألف من أدامز وفرانكلين وجفرسون بدراسة المشكلة والبحث عن حلول لها، وعين دافيد هامغريس سكرتيرا لهذه اللجنة، والتي منحها الكونغرس صلاحيات تتيح لها الدخول في مفاوضات مباشرة مع دول الشمال الإفريقي ، وفي نفس الوقت باشرت الولايات المتحدة في بناء أسطول حربي قوي قادر على التدخل في الوقت المناسب[10].

وفي سنة 1776م. اتصل (جون ادامز) و( توماس جفرسون) اللذان وصلا من لندن إلى باريس، بالسفير الليبي عبدالرحمن آغا وتركزت المفاوضات حول ضمان حرية الملاحة للسفن الأمريكية، في حوض البحر المتوسط، غير أن المفاوض الطرابلسي طلب مبلغاً كبيراً وقدره (60.000دولار) مقابل ذلك، ولم تُرد الولايات المتحدة دفع هذه القيمة خشية أن تونس والجزائر ستطالب بنفس القيمة، ومن جانب أخر أن الولايات المتحدة ليست لها تجارة كبيرة بالحجم الذي يجعلها تدفع إتاوات ضخمة لكل هذه الدول وهكذا فشلت المفاوضات[11].

وكان أول صدام وقع بين البحرية الليبية والبحرية الأمريكية في شهر سبتمبر 1796م. حيث تم أسر سفينتين أمريكيتين من قبل البحارة الطرابلسيون ، وكانت أحداهما تحمل جواز سفر من داي الجزائر ومعها الجزية والهبات طبقاً للصلح المبرم بين الطرفين ، وقد تم إطلاق سراح هذه السفينة في الحال، إذ تفاوض قبطانها أوبريان بمساعدة قنصل إسبانيا مع الباشا، واستطاع إبرام الصلح وتم الوصول إلى هذه النتيجة، بفضل داي الجزائر الذي كتب إلى يوسف باشا بأن يرضى بمبلغ وقدره (40.000قرش)، أما السفينة الثانية فقد أمر الباشا أن تُسلح، واستخدامها للأغراض العسكرية[12].

ويعود أول اتصال دبلوماسي بين الولايات المتحدة وولاية طرابلس الغرب، أبان زيارة وفد من ولاية طرابلس الغرب إلى لندن الذي ترأسه عبد الرحمن أغا البدري وفي سنة (1800)م ، كُلف الجنرال سيباستيان مندوب نابيلون بونابرت الخاص بالتفاوض باسم الولايات المتحدة مع باشا طرابلس وعقد اتفاقية سلام معه، وتم تعيين قنصل أمريكي الذي جاء محملاً بالهدايا وقُوبل بترحيب وحفاوة كبيرين ، وتم الاتفاق على قيمة الإتاوة السنوية. غير أن حالة السلم هذه لم يكتب لها النجاح والاستمرار، إذ لم تلتزم الولايات المتحدة بتعهداتها، فما كان ليوسف باشا ليصبر على معاهدة لا يجني من ورائها الفوائد الاقتصادية المرجوة.

وهكذا فشلت فرنسا في التوفيق بين سياسة يوسف باشا الطموحة، بما كانت تفرضه على سفن الدول الأوربية والأمريكية من إتاوات وغرامات مالية ، وبين تجاهل هذه الدول لمطالب باشا طرابلس ، ولذلك أنتهز يوسف باشا أول فرصة لإنزال العلم الأمريكي وطرد القنصل ، وإعلان الحرب باستهداف السفن الأمريكية في مجال عمليات الأسطول الطرابلسي[13].

## المبحث الثالث ـ الصراع الطرابلسي الأمريكي في حوض البحر الأبيض المتوسط :

بعد إن استلم الرئيس جيفرسون السلطة في الولايات المتحدة الأمريكية، ظهرت نزعة لدى الحكومة الأمريكية من خلال إرسال قوات بحرية لتدمير البحرية الطرابلسية والجزائرية، اللتان كانتا تشكلان قوة مهابة في البحر المتوسط رغم عدم إتحادهما في مواجهة القوة الجديدة، وفي تلك الأثناء خرجت السفن الطرابلسية مندفعة تلاحق السفن الأجنبية حتى مضيق جبل طارق، وأظهرت أن الإجراءات التي اتخذتها أمريكيا لم تكن فعالة، فقد وصل أسطول أمريكي صغير وفرض حصاراً على مدينة طرابلس وقام بقصفها بالمدفعية، وفي ذات الوقت هاجمت سفن أخرى مدينة صبرا ته ، واتخذت السفن الأمريكية من مدينة مالطا وبعض الموانئ الإيطالية قواعد لانطلاقها في العدوان على ولاية طرابلس الغرب، وكذلك للتزود بالإمدادات وفي الحصول على التموين والمياه اللازمة للشرب ، علاوة على أن القوات الأمريكية كانت مجهزة بعتاد وذخيرة متطورة وبأعداد كبيرة من الجنود والضباط ، بينما قوات الباشا كانت لا تضاهي القوات الأمريكية، وإن الشواطئ الليبية باستثناء مدينة طرابلس تفتقد إلى التحصينات والدفاعات لصد أي هجوم مباغت، ولم يؤد الحصار الأمريكي لأي نتيجة ، ومن ثم رفع الحصار عن طرابلس وعندما تولى رتشارد موريس قيادة الأسطول ضرب حصارا أخر على المدينة لم يكن فعالاً كغيره، إذ تمكنت السفن الطرابلسية من الخروج من الميناء والعودة رغم الحصار، وقد عرض القائد موريس على باشا طرابلس مبلغاً قدره (40.000 دولار) مقابل عقد الصلح ، بالإضافة إلى قيمة ضريبة سنوية قدرها(40.000 دولار) ، غير أن وزير الباشا حسونة الدغيس طلب مبلغا من المال قدره (20000دولار) وإلى مبالغ أخرى تعويضا عن الخسائر التي ألحقها الهجوم على مدينة طرابلس[15].

وفي يوم 31\10\1803م. قامت القوات البحرية الأمريكية بإحكام الحصار حول ميناء طرابلس ، وعزلها عن جارتيها تونس والجزائر، حيث كانت تخشى القوات الأمريكية أن تتضامن هاتين الدولتين مع طرابلس ، وتعلن الحرب على الولايات المتحدة، ونظرا لتأزم الموقف فقد تدخل قنصل الدانمرك . الذي كان يقوم برعاية المصالح الأمريكية بالتوسط وإنهاء النزاع بين الطرفين، وتقابل الوزير محمد الدغيس مع قائد القوات الأمريكية للتفاوض ودار النقاش حول ماكان يجب أن تدفعه الحكومة الأمريكية من الإتاوة التي قُدرت ب(200.000دولار)، وجزية سنوية بنفس القيمة بالإضافة إلى تزويد الباشا بكمية من الذخائر العسكرية البحرية في مقابل الصلح، ولكن

الكابتن موريس رفض هذه الشروط التي أعتبرها مجحفة، ولقد انتهت هذه المفاوضات بالفشل[16].

وأستمر الصراع البحري المسلح بين الطرفين وقد نتج عنه خسارة الأسطول الأمريكي للسفينة الكبيرة ( فرانكلين) في عرض البحر الأبيض المتوسط ، وقد بيعت في تونس بالمزاد العلني، أما قائد السفينة والبحارة البالغ عددهم تسعة بحارة ، فقد أقتيدوا أسرى إلى مدينة طرابلس عن طريق البر، وقد أفقدت هذه المعركة الولايات المتحدة كرامتها بين دول شمال أفريقيا[17].

ومن أهم نتائج هذه الحملة الفاشلة هي عزل موريس عن قيادة الأسطول، وحُمل مسؤولية الهزيمة، وقد وقع هجوم أخر من الأسطول الأمريكي في أغسطس ، ولم يؤد إلى أي نتائج، وأوعزت الحكومة الأمريكية إلى قناصلها في الجزائر وتونس وطرابلس إلى مقابلة الباشا والوصول معه إلى اتفاق، وكان هذا الاجتماع مصيره الفشل مرة أخرى رغم قبول الحكومة الأمريكية رفع الإتاوة إلى (400.000قرش) وفي أكتوبر 1802 تجددت اعتداءات الأسطول الأمريكي على طرابلس ولكن لم يسفر عن أي نتائج كسابقتها، بل أُجبروا على الرحيل بعد أن خسروا زورقاً مسلحاً بالمدفعية، وفشل مجموعة من البحارة في نسف أحد الحصون إذ أنفجر اللغم الطافي فوق الماء قبل الأوان وتسبب في قتل أولئك البحارة الذين كانوا يدفعونه نحو الميناء، لذلك أعلنت الولايات المتحدة الحرب وشرعت القوات الأمريكية في اتخاذ قاعدة متقدمة لها في مالطا لإدارة العمليات الحربية والتزود بالمؤن ، وقام أمر السفينة فلادليفيا، وقائد السفينة فيكسن بمحاصرة مدينة طرابلس، وكانت مهمة السفينة فيكسن توفير الحماية للسفينة الضخمة فيلادليفيا، التي باشرت الهجوم على ثغور طرابلس بقيادة العميد البحري بريبل، وكانت نتيجته فشلاً ذريعاً للقوات البحرية الأمريكية، حيث جنحت فيلادليفيا التي يقودها القبطان بينبيردج حينما كانت تطارد زورقاً ليبياً، وتم استدراجها إلى المياه الضحلة، حيث أرتطم غاطسها بالحاجز الترابي ، مما جعلها عاجزة عن الحركة والمناورة،عندئذ أسرعت ثلاث سفن طرابلسية بمحاصرتها، فلم يجد ربانها مفراً من التسليم ، وكانت هذه البارجة بمثابة قلعة متنقلة، إذ كانت مسلحة بـ ( 42 مدفعاً)ويسيرها طاقماً مكوناً من (378بحاراً و29 ضابطاً)، وبعد ذلك وفي استعراض للبحارة الطرابلسية قاموا بجر هذه البارجة العملاقة بواسطة مقطورة إلى المياه العميقة دون أن تصاب بأي أذى وسط هتافات الأهالي المبهورين بمهارة أبنائهم أولاً ،وبضخامة هذه البارجة ثانياً، وكان طاقم البارجة بعد أن سلم نفسه للبحرية الطرابلسية قد تم نقلة بواسطة القوارب إلى سجن القلعة ، وفيما

بعد تم نقلهم إلى مبنى القنصلية الأمريكية[18]، وخُففت عليهم قيود الأسر ، إثر تدخل القنصل الفرنسي ووساطته لدى الباشا حيث سُمح لهم بالتجوال في المدينة تحت حراسة الحرس الخاص بالباشا[19].

كان لأنباء أسر البارجة فيلادلفيا على نفوس الأمريكيين كارثياً، إذ عدوه هزيمة منكرة لحقت ببحريتهم التي كانوا يتباهون بها، ومرغت كرامتهم في الوحل وقللت من هيبتهم أمام الدول الأخرى وخاصة الأوربية.

ومن ذلك الوقت شرعت الحكومة الأمريكية في إعداد خطة لاستعادة كرامتها ومعاقبة الطرابلسية بكل الوسائل الممكنة، وقد أبلغت الدول الأوربية أنها ستفرض حصاراً شاملاً على الشواطئ الطرابلسية ، وهددت بأن أي سفينة تدخل منطقة الحصار للمرة الثانية فأن السفن الأمريكية ستأسرها وتعتبرها غنيمة، ورفضت الدول الأوربية هذا الإنذار واعتبرته تهديداً موجهاً لها وتهديداً لمصالحها،فقد رفضت فرنسا سياسة الحصار هذه – ليس من باب التضامن مع طرابلس- ولكن حرصاً على مصالحها التجارية، وقد احتجت فرنسا على الطريقة التي أُتبعت ، وأشاروا إلى أنه لم يسبق من قبل أن أُدخل ساحل بلاد بأكمله في حصار، واعتقدوا إن هذا الإجراء سيكون تعدياً على حقوق الدول المحايدة في النزاع[20].

وعلى الصعيد السياسي أوفدت وزارة الخارجية الأمريكية ، ممثلين عنها إلى كافة العواصم الأوربية ترجو فيه تدخلهم لفك أسر السفينة وطاقمها، وطُلب من نابليون بونابرت الذي تربطه علاقة وطيدة بيوسف باشا التوسط لحل هذا النزاع، وبالفعل أذن نابليون بنفسه للقائم بالأعمال القنصلية الفرنسية بطرابلس ، أن يبلغ الباشا أن نابليون يرغب في توطيد أواصر السلام لمصلحة الطرفين المتنازعين، كما أوعز قيصر روسيا لسفيره في القسطنطينية أن يضغط على الباب العالي من أجل حل قضية السفينة والأسرى ، غير أن الوساطة لم ترق للرئيس جيفرسون ، وأستهجن سياسة حكومته في هذا الجانب،واستنكر على وزير خارجيته ذلك التصرف، وأعتبر أن الهيئات الدبلوماسية الأمريكية قد وقعت في خطأ كبير حين استنجدت ببلاطات أوروبا للتدخل وطلب الرحمة للأسرى الأمريكيين، وأعلن جيفرسون أن الولايات المتحدة الأمريكية قادرة على رعاية شؤون مواطنيها، وحماية مصالحها بنفسها وبالطريقة المناسبة [21].

وأعدت الحكومة الأمريكية خطة محكمة كمحاولة منها لاستعادة كرامتها، ففي 17\2\1804م، نجحت سفينتان شراعيتان أمريكيتان بقيادة الملازم ستيفن ديكاتور في التسلل تحت جنح الظلام إلى الميناء ، وقام بعض بحارته بالصعود الى ظهر السفينة

فيلادلفيا، التي كان بها عدد قليل من الحراس وأضرموا النار فيها ، وقد أثارت هده العملية ردة فعل عنيفة وغضب شديدين لدى الأهالي والباشا، فما كان من الباشا إلا أن أمر بحبس الضباط الأمريكيين الأسرى مع بحارتهم لديه، ورفض الإفراج عنهم ، وأخذ في تقوية أسوار المدينة، والميناء لأنه كان يتوقع هجمات جديدة[22].

بالمقابل فأن الولايات المتحدة أدركت من الصعب بمكان إجبار يوسف باشا على قبول شروطها عن طريق القوة العسكرية وحدها، فلجأت إلى الاستفادة من الخلاف القائم بين أفراد الأسرة القرمانلية، خاصة بين يوسف باشا وأخيه أحمد الوالي السابق والطامح في العودة إلى العرش الذي ثار عليه وطرده أخوه يوسف واستولى على الحكم بدلاً منه، فلوحت بالوقوف إلى جانب أحمد باشا لاسترداد عرشه المغتصب، الذي كان آنذاك مقيماً بالإسكندرية، لتعرض عليه استعدادها التام للوقوف بجانبه، حيث قام القنصل الأميركي السابق في تونس وليم أيتون ، بالاتصال بأحمد باشا وعرض علية إعادته إلى كرسي الحكم ، فرحب بالفكرة وأخذ في حشد أصحابه في المنفى وأتجه صحبة أيتون إلى درنة، ودخلها تحت حماية السفن الأمريكية، وأمام ترحيب السكان فأستحوذ على يوسف باشا الخوف وأرسل أبنه محمد بك مع قليل من العساكر إلى بنغازي، بتعليمات مخصوصة وأتخذ الوسائط لإقناع الأمريكيين ومصالحتهم، ونتيجة لهذا التحالف بين الأمريكان وأحمد باشا القرمانلي ، وشروعهم في دعمه كورقة ضغط على أخيه يوسف والي طرابلس ، وتهديدهم له بالتقدم نحو الغرب، مقر إدارة الولاية، وتنصيبهم لأحمد باشا والياً على طرابلس، جعلت من يوسف يقبل التفاوض مع الأمريكيين حيث تمكن توبياس لير وهو القائم بالأعمال في نهاية الأمر، من إبرام معاهدة الصلح في 3\يونيو\1805م[23]. تم خلالها دفع مبلغ(60.000قرش) لافتداء للأسرى الأمريكيين، وتم جلاء القوات الأمريكية عن درنة، ورأت الحكومة الأمريكية من أجل مصالحها، التخلي عن حليفها أحمد القرمانلي، ومن نتائج حرب السنوات الأربع إنها تركت في نفوس البحرية الأمريكية أثاراً عميقة، أدت إلى الإشارة إلى مدينة طرابلس، في نشيد الولايات الأمريكية في أحد فقراته إلى اليوم(24).

وفي سنة 1815م استأنف يوسف باشا تحديه من جديد ضد السفن الأمريكية ، فقامت البحرية الطرابلسية بمهاجمة وأسر سفينتين أمريكيتين، فما كان من الحكومة الأمريكية سوى إرسال أسطول بقيادة ديكاتور إلى مدينة طرابلس، وهدد بإطلاق القنابل على المدينة، إذا لم تقبل طلباته، وحصل على أمر استرداد السفينتين، وعلى تعويض قدره (30.000قرش)(25).

غير أن العلاقات الطرابلسية الأمريكية أصابها الفتور وأحياناً جمود من طرف الولايات المتحدة في الفترة ما بعد سنة 1820م لانشغالها بأمورها الداخلية من أجل بناء قوتها العسكرية والاقتصادية ،فاختارت الابتعاد عن شؤون العالم الخارجي ،وركزت جل اهتمامها لتطوير الزراعة والصناعة والتجارة بشكل كبير.[26]

## المبحث الرابع ـ الأثار الناجمة عن الصراع الطرابلسي الأمريكي :

### أولاً- الآثار الدبلوماسية :

أدى الصراع بين الطرفين إلى توقيع صلح في 3\يونيو\1805م، تم بموجبه إطلاق الأسرى الأمريكيين، مقابل مبلغ وقدرة ستون ألف قرش ، كما تضمنت المعاهدة عدة بنود أغلبها لصالح الولايات المتحدة، تحصلت من خلالها على تسهيلات وامتيازات قوت خلالها من فاعلية أسطولها من ناحية ومن ناحية أخرى أدت تلك الامتيازات إلى تدخل القنصل الأمريكي في الشأن الداخلي لولاية طرابلس، فأخذ يناصر المتمردين على السلطة الشرعية وفتح باب الحماية لكل المتمردين والذين يودون التمتع بالامتيازات كالإعفاء الضريبي والهروب من العدالة والانضمام تحت العلم الأمريكي[27].

### ثانياً ـ الأثار الاقتصادية :

لقد كان للصراع البحري الطرابلسي الأمريكي أثاره الاقتصادية على الولاية سواءً بالسلب من تصرفات القنصل الأمريكي الغريبة تحديه للقوانين والأعراف المعمول بها في البلاد ، وتعديه على رئيس المحكمة بمدينة طرابلس، وهدده بأنه سيطلب تدخل القوات البحرية الأمريكية ، إلا أن الباشا لفت نظر انتباه القنصل للمسلك المخالف للأصول الإدارية التي وضعها الباب العالي بالاتفاق مع الدول الأخرى ، وانتهى الأمر بتراجع القنصل عن تهديده[28].

كما كانت لهذه الامتيازات التي مُنحت للقناصل الأجنبية دور في ضعف حكم الأسرة القرمانلية وانهيارها [29].

أو بالإيجاب، فمن أثاره الاقتصادية الإيجابية، والتي تعود بالفائدة على الولاية ماكان يفرضه يوسف باشا على سفن الحكومات الأوربية والأمريكية من إتاوات وغرامات مالية عقب أي حصار أو صراع تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية، فبعد فشل الحصار الأول على الولاية عرض القائد موريس على باشا طرابلس مبلغاً قدرة (400.000 دولار) مقابل عقد الصلح، بالإضافة إلى قيمة ضريبة سنوية قدرها (40.000 دولار) ، غير أن وزير الباشا حسونه الدغيس طلب مبلغ قدره(200.000 دولار)، وقيمة أخرى

كتعويضات عن الهجوم الذي سببه الأسطول الأمريكي، إضافة إلى تزويد الباشا بكمية من الذخيرة العسكرية البحرية[30].

كما أدى الصراع المسلح بين الطرفين إلى خسارة الأسطول الأمريكي للسفينة الكبيرة فرنكلين، وبيعها في تونس بحمولتها بالمزاد العلني[31]، ليضاف ثمنها لخزينة الولاية.

وعندما تم أسر السفينة فيلاديفيا والتي كانت مزودة بـ(42 مدفعاً) تم أخذها كغنائم حرب، كما تحمل طاقماً مؤلفاً من (307 بحاراً)، تم أسرهم وتكليفهم بعدة خدمات لصالح الباشا والعمل في ورشة الميناء، وكان من بين الأسرى الطبيب جوناثان كوردي اتخذه الباشا طبيباً له ولأسرته ، والجدير بالذكر أن هذا الطبيب قد كتب يومياته التي قضاها في الأسر، وهي معلومات قيمة عن الظروف والأحداث التي تتعلق بأسرة الباشا وبعض الحوادث المتفرقة التي تتعلق بشؤون المدينة[32].

أما إطلاق سراح أولئك الأسرى فقد كان له أيضا أثره في إثراء خزينة الولاية عندما تم دفع مبلغ (60.000 قرش) لافتدائهم عقب الصلح الذي وقع بين الطرفيين المتصارعين أوائل يونيو 1805م.[33]

وبالنسبة للآثار السلبية على اقتصاد الولاية فأن قيام البحرية الطرابلسية بالاعتداء على السفن الأمريكية في كل مرة يقوم الباشا بدفع تعويض للولايات المتحدة بعد تهديدات بقصف المدينة بالقنابل[34].

## الخاتمة :

توصل البحث إلى جملة من النتائج أهمها ما يلي :

1- اهتمام البحارة الطرابلسيون بتقوية أسطولهم البحري وخاصة بعد انتشار الإسلام نصرة للإسلام والمسلمين .

2- كان للبحرية الطرابلسية دور كبير في رسم حدود العلاقات مع الدول الكبرى ودول الجوار .

3- كان للنشاط البحري الذي مارسه الطرابلسيون في حوض البحر المتوسط أثر كبير على العلاقات الطرابلسية الأمريكية والتي اتسمت بالعداء في أغلب الأحوال .

**الهوامش**

1- عمر على بن اسماعيل، انهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا 1795-1835م، مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، 1966م،ص26.
2- محمد الهادي ابوعجيلة، النشاط الليبي في البحر المتوسط في عهد الأرة القرمانلية، 1711-1835م، أثره على علاقاتها بالدول الأجنبية، منشورات قار يونس، بنغازي، 1997م،ص132.
3- عمر على بن اسماعيل، المرجع السابق،ص215-216.
4- محمد الهادي ابوعجيلة، المرجع السابق،ص133-134.
5- المرجع نفسه والصفحة.
6- نفس المرجع،ص135.
7- نجم الدين غالب الكيب، فصول في التاريخ الليبي، الدار العربية لكتاب، ليبيا- تونس، 1982م، ص90.
8- محمد مصطفى بازامة، البلوماسية في القرن الثامن عشر، مكتبة قوريناللنشر والتوزيع،بنغازي، (د.ت)، ص148.
9- المرجع نفسه والصفحة.
10- نفس المرجع والصفحة.
11- نفس المرجع، ص149.
12- رودلفو ميكالي، طرابلس الغرب تحت الحكم العثماني،ت طه فوزي،معهد الدراسات العربية، جامعة الدول العربية، 1961م، ص136.
13- أروين راي، العلاقات الدبلوماسية بين المغرب والولايات المتحدة الأمريكية، ت إسماعيل العربي، الجزائر، 1978م، ص68.
14- عمر على بن إسماعيل،مرجع سابق،ص106.
15- أروين راي،مصدر سابق،ص 68.
16- نفس المصدر والصفحة.
17- نفس المرجع ،ص69.
18- عمر على بن إسماعيل،مرجع سابق،ص106.
19- المصدر نفسه والصفحة.
20- جلين تكر، معارك طرابلس بين الأسطول الليبي والأمريكي في القرن التاسع عشر،ت عمر الديراوي ابوحجلة، دارف المحدودة، لندن،1983م،ص414.
21- المرجع نفسه والصفحة.
22- مصطفى عبدالله بعيو، المختار في تاريخ ليبيا، ج1، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، 1967م،ص155.
23- شارل فيرو، الحوليات الليبية، ت محمد عبدالكريم الوافي، دار الفرجاني،طرابلس، 1983،ص155، وجلين تكر، مصدر سابق، 362.
24- مصطفى عبدالله بعيو،مرجع سابق،ص151.
25- رودلفو ميكالي،مصدر سابق، ص173.
26- عبدالمجيد نعنعي، تاريخ الولأيات المتحدة الأمريكية الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، 1993.ص48.
27- عمر على بن إسماعيل،مرجع سابق،ص116.
28- شارل فيرو، شارل فيرو،ص512.

29- ن.أ. بروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث(منتصف القرن السادس عشر- مطلع القرن العشرين)،سلسلة الدراسات المترجمة،ج2، ت عماد حاتم،مركز جهاد الليبين، طرابلس، 1991م،ص240.

30- أروين راي،مصدر سابق،ص68.

31- المصدر نفسه والصفحة.